# المترفون وصناعة الفساد [من منظور قرآني]

د. صبحي رشيد اليازجي*

سلم البحث في ١٤٣٩/٩/٢٠هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٣٩/١٠/٢٢هـ

**ملخص البحث:**

من أسباب انهيار المجتمعات وسقوط الأمم عبر مسيرة التاريخ الطويلة هي انغماسها في الترف، وما يصاحبه من فجور وفساد وغلبة للشهوات، ومن ثم تفسخ المجتمع وانهياره، ولبيان دور المترفين في صناعة الفساد في المجتمع الإسلامي قسمت بحثي إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول: بينت فيه مفهوم الترف والمترفون ومدلولاته في القرآن الكريم. المبحث الثاني: وضحت الفرق الترف والفساد.. وأنواعه على المستوى السياسي والاجتماعي. المبحث الثالث: وختمت البحث ببيان دور المترفون من الحكام والعلماء في صناعة الفساد. ثم ذيلت بحثى بأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة.

**Research Summary:**

One of the causes of the collapse of societies and the fall of nations through long history is the indulgence in luxury, and the accompanying of the immorality, corruption and the predominance of lusts. All of these lead to the collapse of society .

To show the role of those involved in the corruption industry in the Islamic community, I divided my research into three topics:

The first topic: I demonstrated the concept of luxury and its meanings in the Holy Quran.

The second topic: I distinguished between the luxury and corruption, and explained its types at the political and social level.

The third topic: The research ended with a statement of the role of the self-indulgent rulers and scholars in the industry of corruption.

Then I followed my research with the most important findings I have reached through the study.

**المقدمة:**

لقد تعرض الكثير من الباحثين لموضوع الترف والمترفين في المجتمعات الإنسانية، وبيان مساوئهم وما يصدر عنهم من أقوال وأفعال تطال كل شرائح المجتمع، ولكن هذه البحوث تناولت هذا الموضوع من زاوية قرآنية معينة، لم تتعرض لتفاصيل ما يحدثه الترف وأهله من فساد في بنية المجتمع الإنساني، وقد أردت في

* أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك، كلية أصول الدين . الجامعة الإسلامية . غزة، فلسطين.

بحثي هذا أن أعرض موضوع الترف، ودور المترفين في صناعة الفساد، سواء في المجال الديني، أم في المجال السياسي، فضلاً عن مجالات أخرى كالاقتصاد مثلاً.

ولهذا سأحاول جاهداً أن استوفي ما نقص من بحوث، وأن أظهر مكامن الخلل فيها على النحو الذي يجعل من دراستنا هذه دراسة مفيدة ومجدية تضاف إلى سائر البحوث الإسلامية القديمة والحديثة، التي تناولت هذا الموضوع، سواء من جهة آثاره الاجتماعية والسياسية، أم من جهة تداعياته على عقائد الناس وثقافتهم.

**١. الغاية والهدف من البحث:**

أ. بيان الدور السلبي للترف والمترفين في حياة الناس.

ب. بيان حقيقة المترفين الذين كانوا دائماً على رأس كل معارضة للنبّوة، وهم أصحاب نفوذ وسلطة في حياة الناس من خلال عقائد ونظريّات ما أنزل الله بها من سلطان.

ج . معالجة النقص الموجود في الأبحاث السابقة، التي تناول هذا الموضوع من زاوية قرآنية.

**٢- أسباب اختيار هذا الموضوع.**

لا شك في أن كل بحث، أو دراسة لها مسوّغات وأسباب تدفع إليها، ومن هذه الأسباب:.

أ- الوقوف على حقيقة ما تنطوي عليه الآيات القرآنية من معانٍ ودلالات، في إطار ما عرضت له من علاقة سلبية دائمة ومضطردة بين الأنبياء (عليهم السلام) والمترفين.

ب- بيان ما تختزنه الآيات من حقائق حول السنن الحاكمة في ميدان التاريخ الإنساني، وهذا ما نرى أنه يمكن الإجادة فيه، لأن المترف ليس هو صاحب النعمة وحسب، بل هو الكافر بها.

ج- التوسع في الحديث عن الترف ومعالجته.

د- وضع هذه الدراسة بين أيدي الباحثين والمفسّرين للوقوف على دور المترفين في صناعة الفساد، وتهديد الأمن الاجتماعي والسياسي والديني والأخلاقي للناس.

**٣- منهج البحث.**

إن المنهج الذي يسمح بمناقشة ومعالجة الموضوع هو: المنهج الاستقرائي،

الذي يحمل الطابع الموضوعي، بجمع الآيات وترتيبها على أساس موضوعٍ البحث.

## المبحث الأول
## مفهوم الترف والمترفون في القرآن الكريم
### المطلب الأول: مفهوم الترف والمترفين ودلالتهما

**أولاً: مفهوم الترف والمترفين في اللغة.**

**التَّرف:** التنعُّم، والتُّرفةُ النعمةُ، والتتريف حسن الغذاء. **والمُترفُ:** الذي قد أبطرته النعمة وسَعة العيش، وأترفته النعمة أي أطغته، وقوله تعالى:﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ أَي أُولو التُّرْفةِ، وأراد رؤساءها وقادة الشرّ منها[١]. ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ أي نعمناهم وبقيناهم في الملك، ومثل قوله تعالى: ﴿أُتْرِفُواْ﴾ أي الذين نعموا في الدنيا بغير طاعة الله، **والمترف:** المتروك يصنع ما يشاء، وإنما قيل للمتنعم مترف لأنه لا يمنع من تنعمه، فهو مطلق فيه، وإلى مثله ذهب الراغب الأصفهاني في مفرداته، فرأى أن **المترف** هو:" المتنعم بملاذ الدنيا، فيقال أترف فلان، فهو مترف، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه، وهم الموصوفون بقوله تعالى:﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (الفجر: ١٥)، **والتُرفةُ:** التوسّع في النعمة" [٢].

إنّ كلام أهل اللغة يوضّح بما لا لبس فيه أن أهل الترف **هم:** الذين بدّلوا نعمة الله كفراً، سواء في مجال العقيدة، أو مجال السلوك العملي، وهذا لا يعني حصر أهل الترف بالرؤساء وقادة الشرّ.

**الترف اصطلاحاً:**

ومن خلال الاطلاع على جملة من الآيات تبين أن الترف وله عدة معان منها:

١) أن المترفين هم أصحاب نفوذ ومشاريع سلطوية كانوا دائماً في طليعة المعارضين للمشروع الإلهي التي تحمله النبوّة، قال تعالى: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ:٣٤). الذين أترفتهم النعمة وأبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي، ويعافون مشاق الدين وتكاليفه[٣]

٢) هم جبابرة الأرض، ورؤساؤها، والمتكبرون [٤].

٣) فالمترفون هم آفة المجتمع في كل أمة، وفى كل جيل، إذ فيهم ينشأ الفسق، والمجون، وكل ما من شأنه أن يغذى العواطف الخسيسة، والغرائز البهيمية، على

حساب المطالب الروحية والعقلية. وما جاء رسول من رسل اللّه يدعو قومه إلى الهدى، حتى يتصدى له المترفون من قومه، من قومه، يعلنون الحرب عليه، ويجمعون الجموع للوقوف معهم في وجهه [٥].

**التعريف الشامل للترف:**

هو:(التنعم في الدنيا بغير طاعة الله تعالى، ينطبق على كل مترف بدّل نعمة الله كفراً، وقد يكون هذا المترف فرداً أو جماعة، أو مجتمعاً، أو سلطة حاكمة، كما هو حال وشأن السلطات التي تعاقبت على حكم المسلمين وغيرهم في تاريخ الإنسان). ويمكننا أن نميّز بين النعمة كون أنها نعمة أفاضها الله تعالى على الإنسان لتكون في سبيل الله تعالى، وبين التُّرْفة بما هي شهوة ولذّة وخروج عن طاعة الله تعالى.

**ثانياً: دلالات الترف والمترفين.**

وقد ورد في القرآن ما يدعو النبي ﷺ إلى الاكتفاء برزق الله تعالى، الذي هو أبقى مما يتطلّع إليه أهل الترف في الدنيا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه: ١٣١)، فمعنى الترف، ومفهومه أن يتخذ الإنسان من التلهّي والفكاهة بديلاً عن رزق الله تعالى، الذي هو خير وأبقى، وهذا لا يدل على المفهوم الإيجابي للترف بحيث يقال: إنّ المترفين هم أصحاب النعم وقد خصّهم الله تعالى بها لاستحقاقهم لها، وإنّما هو فتنة، كما قال تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

أن ذلك الذي أمدّ اللّه بعض المشركين به من نعمة، هو تكريم لهم، وإحسان منه سبحانه وتعالى إليهم.. بل هو ابتلاء وامتحان لهم، ليرى منهم سبحانه أيشكرون أم يكفرون؟. ولكنهم كفروا به، وحادّوه، وحاربوا رسوله، وبهذا تحولت هذه النعم إلى سيئات وأوزار، تضاف إلى رصيدهم مما كسبوا من سيئات وأوزار[٦].

فقادة الشرّ ورؤساء القوم هم المترفون الذين يستعبدون الناس ويستخفون بهم ليكونوا عبيداً لهم، وليس من المصادفة في شيء أن يركّز القرآن الكريم على الدور السلبي للمترفين في مواجهة الدعوى النبوية.

إنّ مفهوم الترف يمكن استجلاؤه من الرؤية القرآنية العامة حول الترف

والمترفين، طالما عرفنا أن الترف، كما بيّن أهل اللغة، هو التنعم بالملذّات والشهوات، والاهتمام بملاذ الدنيا وحطامها الزائل على حساب القيم والمبادئ السامية، وكل إنسان، أو مجتمع، أو أمّة تأخذ منه الدنيا مأخذها، وتبلغ منه مأملها، هو إنسان مترف يعصي الله تعالى فيما أنعم به عليه وابتلاه به، لا تهمّه معصية، ولا تستهويه قيمة، ولا يمنع من تنعمه شيء، فهذا لا بدّ أن تكون عاقبته الخسران لا لنفسه وحسب، بل للمجتمع الذي يعيش فيه، لأن هؤلاء ليس لهم غاية وراء أطماعهم وأهدافهم الدنيوية سوى التفنّن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة على حدّ تعبير ابن خلدون(٧).

فالمترفون هم أهل صناعة فاسدة في المجتمع الإنساني، هذا فضلاً عن كونهم الجهة المقابلة دائماً لمشروع الحق والعدالة، وهذا هو أهم مفهوم يمكن ملامسته في تعريفنا للترف والمترفون.

## المطلب الثاني
## الترف والمترفون في القرآن

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ١١٦). وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ: ٣٤). **فالآية الأولى**، توضح أن الناس لا يزالون بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وآمنوا بالله تعالى، وأنّ الترف يقود الناس إلى الإجرام، إضافة إلى نجاة القليل من الناس ممن أنجاهم الله بما أصلحوا وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر(٨).

فإنّ السياق القرآني يفيد أنّ الناس لهم قدرة وخيار أن يكونوا بمنجاة من الهلاك فيما لو أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ولم يتّبعوا ما أترفوا فيه، وهذا بخلاف ما لو اتبع الذين ظلموا ما أترفوا واختاروا الركون إلى الظلمة، فإنهم بذلك إنّما يكونون قد اختاروا الإفساد في الأرض، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾، ولا شكّ في أنّ مفاد هذه الآية ناظر إلى ما يختاره المترفون من رؤية ومنطق ووسائل لمواجهة الأنبياء عليهم السلام، فهم الذين اختاروا بإرادة ووعي

أن يكونوا في مواجهة الأنبياء عليهم السلام.

فالسياق العام لهذه الآيات يوضح أن الترف مفسد للخَلق والخُلق في المجتمع، ولهذا كان من وظيفة الرسل مواجهة هذا الترف بكل مفاعيله الاجتماعية والسياسية والثقافية للحيلولة دون أن يكون له آثار سلبية يمكن أن تؤدّي بالمجتمع إلى الهلاك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا﴾ (الإسراء: ١٦)[٩].

فالمترف إذن ليس هو ذاك الإنسان المتميّز في شركهِ أو كفرهِ أو عبادته وحسب، وإنّما هو الإنسان الذي بدّل نعمته كفراً، سواء في مجال الاعتقاد والأخلاق، أم في مجال السلوك والعمل، سواء في قوله أم فعله، أم ماله، فهو إنسان مترف قد يكون فرداً أو جماعةً أو مجتمعاً، أو دولة، قد يكون حاكماً، أو محكوماً، باعتبار أن المترف هو صفة المتنعّم في ماله وجسمه وفي كل ما له من حالات أنعم الله تعالى بها عليه، ولكنه أساء استخدام هذه النعم وأفسد في الأرض[١٠].

**أولاً: عقيدة المترفين**

*** إنّ عقيدة هؤلاء الذين أترفوا ليست وليدة الساعة:** وإنّما هي قديمة قدم وجود الإنسان على الساحة التاريخية، وهي قائمة على التعصب والتفاخر بالمال والولد والتقليد للآباء فيما كانوا عليه من اعتقاد وسلوك، وهذا يدلّ على مدى ترسّخ هذا الاعتقاد في قلوب المترفين الذين دفع بهم حبّ المال والولد إلى أن يكونوا في مواجهة الحق، ويكفي لتأكيد هذه الحقيقة ملاحظة السياق الذي جاءت به آيات المترفين، لمعرفة حقيقة ما يعتقده هؤلاء: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ (الأعراف:٧٥.٧٦)، فالآية تتحدّث عن حقيقة ما هم عليه من اعتقاد باطل، فضلاً عمّا هم عليه من كفر وعصيان، قالوا: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾، وهذا يدلّ على مدى كفر هؤلاء وعتوّهم في مواجهة الحق، حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء[١١].

فالترف ليس مجرّد تقليد في الاعتقاد، وإنما هو رسوخ في الكفر، وإصرار على الشرك وارتكاب المعاصي، كما يُفيد قوله تعالى في آية أخرى تؤكد ذلك: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ* وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سبأ:٣٤ . ٣٥). هذا هو ردّ المترفين على كل دعوة إلى الإيمان باللّه، وتلك هي حجتهم عند أنفسهم وعند الناس، إنهم بما يملكون من كثرة في الأموال، وما عندهم من كثرة في الأولاد والرجال، لن يكونوا تابعين لغيرهم، ولن يجعلوا لأحد كلمة عندهم، حتى ولو كان رسولاً من رسل اللّه، يدعوهم إلى اللّه، ويكشف لهم معالم الطريق إلى الحق والهدى!! إنهم أكثر أموالا وأولادا من هذا الرسول، فكيف يقوم فيهم مقام الناصح ذى الرأى والسلطان(١٢).

*** إنّ عقيدة المترفين تؤكّد بما لا يدع أي مجال للشكّ بأن المترفين هم أصحاب القول،** لأن مؤدّى الترف هو الاستكبار في الأرض والإفساد فيها، وهذا يتجلّى بوضوح فيما زعمه المترفون عن استحالة البعث والنشور والعذاب والثواب في الآخرة، كما في قولهم: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ فهؤلاء لا يؤمنون بالبعث، ويكفرون بالله تعالى، ويستكبرون عن عبادته من منطلق عقيدتهم الباطلة ووعيهم بهذا الباطل، ولما كان هذا منتهى ما عندهم، وغاية ما لديهم، أمر اللّه رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل على ترهيبهم فقال: ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ ستبعثون، أنتم وآباؤكم الأولون: ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ ذليلون صاغرون، لا تمتنعون، ولا تستعصون على قدرة اللّه(١٣). لا شكّ في أن الآيات القرآنية ذات الصلة بموضوع الترف والاستكبار فيما لو أخذت في سياقاتها المختلفة تبيّن أن خطاب المترفين في الدنيا هو ذاته الخطاب الذي تجلّى بين المستكبرين والمستضعفين، حيث قال تعالى:﴿لَا تَرْكُضُواْ وَارْجِعُواْ إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٣). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (الواقعة: ٤٥)، وفي هذه الآيات من الدلالة ما يكفي لإظهار حقيقة التواصل والامتداد بين ما يكون عليه المترف في الدنيا، وما يؤول إليه من مصير في الآخرة بسبب ترفه واستكباره في الأرض بغير حق، وهذا هو مؤدّى قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ١١٦). فاستحقوا العذاب الأليم! لما يُحدثونه من الإجرام في المجتمع، ويتسببون بالفقر، ويمنعون من التغيير على قاعدة قولهم: ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (الأنعام: ٢٩).

* **إنّ عقيدة المترفين، وكذلك منطقهم، هي عقيدة تقوم على الكفر والتكذيب** بلقاء الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٣). ثم أعقبوا قولهم هذا: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٦)، إنهم بهذا يؤكدون استبعاد البعث بعد الموت، ويؤكدون أنه لا حياة إلا هذه الحياة التي هم فيها، أما أن يبعث الموتى من قبورهم، ويعودوا إلى الحياة مرة أخرى، فذلك ما لا تقبله عقولهم ولا يتصوره خيالهم(١٤).

وهذا يدلّل على أن عقيدة المترفين ليست مجرّد تعبير عن صراع هادف إلى الحفاظ على الأموال والأولاد والمصالح المادية، فلو كان الأمر كذلك لما لجأ المترفون إلى مواجهة النبوّة والردّ عليها بالتكذيب والاستكبار والكفر بالله تعالى ورسله، ذلك أن النبوّة لم تكن بوارد منافسة المترفين على ما في أيديهم من متاع الدنيا، وكان الأنبياء عليهم السلام حريصين على مصالح هؤلاء في حدود ما يسمح بإحقاق الحق وتحقيق العدالة والحفاظ على سلامة المجتمع سياسياً واقتصادياً.

ولقد بلغت الأقوام العاتية المكذبة برسالات الرسل منتهى درجات العتو والتمرد، والعناد والمقاومة، فأنكروا صحة النبوة والرسالة، وإنزال الوحي الإلهي على البشر، وآذوا النبي والرسول إيذاء شديداً، وطعنوا في مقدراته العقلية وطاقاته الفكرية، وسخروا منه أشد السخرية، وأشركوا بالله شريكاً آخر، وأنكروا وجود البعث والقيامة، أو العودة إلى الحياة الأخروية مرة أخرى بعد الموت وبلى العظام، وصيرورتها ترابا متفتتا. وهذه هي قواعد الكفر ومحطاته الأساسية، قال الله تعالى مبينا شبهة قبيلة عاد في وجود القيامة، بعد إنكارهم بشرية الرسل (١٥).

ومن خلال ذلك يتبين أن منطق المترفين لم يختلف بين زمن وآخر، وبين رسول وآخر، بل هو كلام واحد هدف من خلاله المترفون إلى الحفاظ على مواقعهم الاجتماعية والسياسية، وكذلك منطق النبوة أيضاً، فهو لم يختلف بين نبي وآخر من حيث كونه هادفاً إلى الهداية والتغيير والإصلاح على النحو الذي يخدم الإنسان في مسيرته الإنسانية، ويساعده على تجاوز أزماته من خلال تغيير ما بنفسه، كأساس وجوهر لكل إصلاح، وبهذا المعنى تتجلّى لنا الرؤية الموضوعية لحقيقة هذا الصراع

المحتوم دائماً، وما كان له أن يستمر لولا أن المترفين قد استطاعوا التأسيس لمنظوماتهم عقائدياً في المجتمعات الإنسانية.

**ثانياً: منطق المترفين:**

وانطلاقاً مما تقدّم نرى ضرورة لأن نبحث منطق المترفين في الدنيا والآخرة:.

**١- منطق المترفين في الدنيا.**

قال تعالى: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ* بَلْ قَالُواْ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ* وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢١-٢٣)، وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل(١٦).

ولا شكّ في أن نتيجة هذا التقليد الأعمى والضلال المبين، اختاروا أن يكونوا عبيداً لأرباب متفرّقين على أن يكونوا عباداً لله الواحد القهّار، وقد قال تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٣٩).

فالمترف ليس مجرّد مقلّد للآباء، وإنّما هو ممّن استهواه الشيطان فأركسه في الفساد وأضلّه عن السبيل: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٧١).

وعلى حدّ تعبير فرعون الذي أظهر القرآن منطقه بما لا يدع مجالاً للشك في أن منطق الفراعنة والمترفين ليس هو ذاك المنطق الذي يصدر عن الحاكم أو الرئيس، أو الطاغوت وحسب، وإنما هو ذاك المنطق الذي يردّده التابع والمتبوع، المستكبر والمستضعف الذي أتبعه وقال مقالته، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف:٥٤). وفي هذا تنبيه على أن قاصر الأفهام والإدراك تنطلي عليهم الخدع، والشبه، والحيل، وتسحر ألبابهم فيستجيبون بسرعة لسوء تفكيرهم وسخافة عقولهم كقوم فرعون(١٧).

وعلى هذا الحال كان مشركو مكة الذين أترفوا في الحياة الدنيا، وكفروا بالرسالة والرسول فيما أتبعوه من تقليد للآباء، واستخفّوا بالناس إلى أن مَنَّ الله تعالى على المؤمنين بالهجرة وإقامة العدل بعد فتح مكة، هذا الفتح الذي لم يمنع عتاة قريش وأهل الترف والتقليد من الاستمرار في مناهضة الرسالة والرسول ﷺ سرّاً وعلانية.

ويؤكد ذلك ما قاله أبو سفيان حينما كانت تدخل سرايا الإسلام مكة، وقال ﷺ للعباس بن عبد المطلب: احبسه بمضيق الوادي حتى تمرّ به جنود الله، قال العباس: فحبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ، والقبائل تمرّ براياتها إلى أن مرّت الكتيبة الخضراء والرسول ﷺ فيها، فقال أبو سفيان للعباس بعد أن رأى ما رأى من القوّة: «سبحان الله يا عباس، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، قلت: أي العباس، يا أبا سفيان، إنّها النبوّة.. وهذا ما يكشف لنا كم كان الترف مستحكماً بأبي سفيان، إلى حدّ أنه لم يرَ في النبوّة إلاّ ملكاً عظيماً، ولولا أن الرسول ﷺ قد أعطاه شيئاً من الفخر لما سكنت نفسه عن الطغيان، حيث قال رسول الله ﷺ: «فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، تسكيناً لنفسه، وتلبيداً لترفه وطغيانه [١٨].

فالتقليد ليس مجرّد اتباع للآباء، وإنّما هو مشروع قائم على عقيدة ومنطق أشار إليه القرآن في آيات كثيرة ولعلّ أهمّها ما عرض عن فرعون ومنطقه، الذي قابله منطق أهل الإيمان والصالحين من عباد الله تعالى، إذ مقابل الاستعلاء، كانت التزكية، وقد أشرنا إلى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ (طه: ٦٤)، الذي يقابله قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ (الأعلى: ١٤).

إن للترف منطقه كما للإيمان منطقه، إن منطق المترفين في الدنيا، تابعين ومتبوعين، يستحق من الأنبياء (عليهم السلام) وأهل الصلاح المواجهة، ولهذا نجد القرآن يعبّر عن هذا المعنى فيما أشار إليه عن قوم صالح (عليهم السلام): ﴿قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (هود: ٦٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ اتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ (العنكبوت: ١٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُواْ مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ (سبأ: ٤٣)، إلى غير ذلك من الآيات التي تلحظ لمنطق المترفين في الدنيا في مواجهة دعوة الأنبياء عليهم السلام والمرسلين،

وهو منطق ليس قوامه الجهل، أو الخطأ، وإنّما المعاندة والكفر والاستكبار في الأرض بغير حق[١٩]، وهو يهدف دائماً إلى طلب السلطة والاستئثار بالمال والنفوذ، إنّه مشروع شيطاني تلبّس به المشركون أولاً، ثم المنافقون، ثانياً، ثم الآخرون ممّن لحق بهم وعمل بسيرتهم ونطق بأموالهم، ولا يزال هذا المشروع قائماً وله أهله في كل زمان ومكان.

**٢. منطق المترفين في الآخرة.**

لقد حاولنا أن نعطي موضوع الترف أبعاده الحقيقية بحيث لا نميّز بين المترفين، سواء أكانوا مستكبرين، أم تابعين ومستضعفين، وهذا اقتضى منّا القول أن لا نعبّر عن المترف بما هو طاغوت وفرعون ومستكبر، وإنما هو إنسان استجاب لمنطق وعقيدة الترف وخضع لها طوعاً أو كرهاً بفعل المؤثرات والإغراءات المادية، وهذا ما سنكشف عنه في سياق الحديث عن حوار المترفين والمستكبرين يوم يُدعون ليشهدوا على ما اقترفته أيديهم من فساد في الدين والدنيا، قال الله تعالى:﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ* وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (سبأ: ٣٢ -٣٣). وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٧-٤٨). لو أن لنا عَوْدة إلى الدنيا حتى نَتَبَرَّأ من هؤلاء ومن عبادتهم، فلا نلتفت إليهم، بل نوحد الله وحده بالعبادة، وهم كاذبون في هذا، بل لو رُدّوا لعادوا لما نهوا عنه [٢٠].

وهكذا، فإنّ منطق المترفين في الآخرة هو تجسيد حقيقي لما يكون عليه المترف في الدنيا، وما على المستضعف المترف المأسور لمنطق قادة الشرّ ورؤساء النعم الذين يتغذّون على سمعه وبصره وطاعته وركونه إليهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ* وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا

هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: ١٦٦– ١٦٧).

إنّه مشهد حقيقي يعكسه القرآن من الآخرة إلى الدنيا، لتكون للإنسان فرصة التحوّل والخروج من ظلمات الجهل والترف إلى الإيمان والعمل الصالح، لكي يكون الإنسان بمنأى عن هذا المصير في الندامة والعذاب والحسرة، "وحينئذ يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبرأوا من متبوعيهم، بأن يتركوا الشرك بالله، ويقبلوا على إخلاص العمل لله، وهيهات، فات الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار، ومع هذا، فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنما هو قول يقولونه، وأماني يتمنونها، حنقا وغيظا على المتبوعين لما تبرأوا منهم والذنب ذنبهم"(٢١).

فالمستضعفون يعون تماماً وهم في حال الدنيا أن المستكبرين ليسوا على الهدى، وأنهم مفسدون في الأرض قولاً وفعلاً، فإذا ما جاء النصّ ليؤكّد هذا المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَاْ﴾ (الأحزاب: ٦٧)، وذلك إنما يكون من خلال التجربة في الدنيا بعد أن يكون هؤلاء قد خرجوا عن سبيل الهُدى، واتحدوا مع مصيرهم في الآخرة فيما أُعدّ لهم من عذاب، " فإن ذلك يقتضي تخويف لقريش من سوء عاقبة أقوام كانوا في مثل حالهم من الأمن والرزق فغمِطوا النعمة وقابلوها بالبطر " (٢٢).

والذي يظهر لنا أن هؤلاء لم يخافوا على أموالهم بقدر ما كانوا يخافون على سلطانهم ونفوذهم فقالوا: نخشى أن "نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا إذا أخرجنا العرب من بلدنا وغلبونا على سلطاننا" (٢٣).

## المبحث الثاني
## الفرق الترف والفساد ... وأنواعه
### المطلب الأول: الفرق بين الترف والفساد

إذا كان الترف يعني: التنعم في الملاذ والتوسع في النعم، كما أفاد الراغب في المفردات(٢٤)، فإنّ الفساد يعني: خروج الشيء عن الاعتدال كثيراً كان هذا الخروج أو قليلاً(٢٥)، وعرّفه الزمخشري بأنّه خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به، ونقيضه الصلاح وهو: الحصول على الحالة المستقيمة النافعة، والفساد في الأرض: هيج الحروب والفتن..(٢٦).

لقد ذكر «الدامغاني» في قاموس القرآن أن «فسد» تأتي على ستّة أوجه [٢٧]، فهي مادة تأتي بمعنى المعصية[٢٨]، والهلاك[٢٩]، والقحط وقلّة النبات[٣٠]، والقتل[٣١]، والخراب بالظلم والجور[٣٢]، والسحر[٣٣]، وجاء الفساد بمعنى: قلة البيع في الزراعات والبيوت ومحق البركات من كل شيء، كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (يونس:٩١)، والمفسدة خلاف المصلحة[٣٤].

لا شكّ في أنّ ما ذكره الدامغاني ليس محصوراً بهذه الأوجه، وإنّما يمكن أن تستفاد أوجه أخرى لمعنى الفساد بما هو خروج عن حال الاستقامة، وقد سبق الكلام منّا أن المترفين وإن كانوا في كثير من أقوالهم وأفعالهم قد تجاوزوا حدّ المعاصي لدرجة الكفر والشرك والطغيان، إلاّ أنهم اعتبروا مفسدين في الأرض كفرعون وسائر المترفين الذين واجهوا وعارضوا الدعوة النبوية، كما قال تعالى: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: ٩١)، فالفساد هنا لم يأتِ على أي وجه من الوجوه التي ذكرها الدامغاني، باعتبار أن الفساد، كما أفاد الراغب، قد يستعمل في النفس والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة، فقد يكون الفساد في شيء، وقد يكون فساداً مطلقاً في كل الأشياء، سواء الخارجة أم الداخلة، في النفس والواقع معاً، وهذا النوع من الفساد لا يكون إلاّ من المترفين الذين يجمعون كل أوجه وأنواع الفساد في أقوالهم وأفعالهم، ولهذا سمّاهم القرآن بالمجرمين والعالين، والمستكبرين، حتّى أن القرآن حين أراد أن يضع عنواناً للصراع في واقعه الاجتماعي الإنساني، فإنّه لم يختر مصطلحاً آخر يعبّر به عن الصراع السلبي المحتدم في الحياة الإنسانية سوى الترف. فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ (سبأ: ٣٤)، فلم يقل المفسدين، وإنّما قال المترفين للتدليل على أن هذه الكلمة تستبطن الفساد، كما في قوله تعالى عن فرعون، وكما قال تعالى في سورة هود: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ (هود:١١٦)، حيث نجد أن قوله تعالى تتابع ليؤكد على أن الأمر لم يكن مجرّد فساد في وجه من الوجوه التي ذكرها الدامغاني، وإنّما أضاف إليها القرآن، قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ (هود:١١٦)، ما يؤكد أن المترف ليس مجرّد مفسد في الأرض ويعمل خلاف المصالح الاجتماعية والسياسية، بل هو مجرم وظالم وقاتل ومستكبر، فضلاً عن كونه كافراً ومشركاً ومكذّباً بلقاء الله تعالى كما أفاد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ

كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (المؤمنون: ٣٣).

يمكننا القول: إنّ كل مترف مفسد، وليس كل مفسد مترفاً، فقد يكون المفسد عاصياً، وفاسقاً، ومنافقاً، وقاتلاً، وساحراً، ولا يكون مترفاً، رغم ما يزعمونه من صلاح وإصلاح، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:١٢.١١).

ولقد ورود مصطلح الفساد في القرآن لأكثر من مئة مرّة[٣٥]، في حين نجد أن مصطلح الترف والمترفين قد ورد ثماني مرّات فقط[٣٦]، فمصطلح الترف جاء في سياق علاقة سلبية مع النبوّة، خلافاً لمصطلح الفساد الذي تراوح ذكره بين أن يكون مجرّد معصية، أو ذنب، أو فعل سلبي في شيء من الأشياء، أو أخذ المال ظلماً، فعل يمكن التوبة منه والإقلاع عنه، وبين أن يكون ترفاً جامعاً لكل المساوئ والقبائح في الدين والدنيا على نحو ما وصف فرعون وهامان وقارون وسائر الطواغيت. **فالمترف:** يقف على قمة الفساد والإفساد في الأرض، أما **المفسد** هو: إنسان خارج عن حدّ الاستقامة، سواء في نفسه، أم في الواقع، فهو يتميز عن المترف في كونه مشتركاً معه في الإفساد، وفي وجه من الوجوه وليس من كل الوجوه.

المترف يتجاوز إفساده شؤون نفسه ودينه الخاص ليكون له مشروعه في مقابل الرسول والرسالة، كما كان حال كل المترفين على الساحة التاريخية منذ النبي آدم عليه السلام حتى عصر رسول الله ﷺ، وستبقى للمترفين هذه الخصيصة حتى قيام الساعة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٤)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (القصص: ٣٨)، إلى غير ذلك من الآيات التي تخرج المترف عن كونه مجرّد إنسان فاسد ومفسد، لتجعل منه إنساناً مستكبراً في الأرض، فيتجاوز حدود إنسانيته ليجعل من نفسه إلهاً يعبد من دون الله تعالى، ومتميزاً بالذبح والقتل والاستضعاف والاستخفاف، وغير ذلك مما وُصف به من صفات في القرآن الكريم، وفي هذا السياق يمكن لنا أن نتأمّل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، هذا

الوصف الذي سبق سائر الأوصاف من استضعاف وذبح واستحياء [٣٧].

وهكذا يتبين لنا من خلال الإشارة القرآنية هو الإرشاد إلى حقيقة ما يميز المترفين في المجتمع عن سواهم، من حيث هم مستكبرون في الأرض، ويدّعون الألوهية، ويفسدون في الأرض، ولهذا نجد ختام الآية يؤكّد على أن فرعون كان من المفسدين: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فلو أن القول جاء في سياق مجرّد الفساد دون أن يكون مسبوقاً بهذه الصفات، لكان من الممكن أن نلحظ الفساد في معنى من المعاني، أو في شيء من الأشياء، ولكنه جاء مسبوقاً بصفات العلوّ والاستكبار، ما يؤكّد لنا معنى الفساد والإفساد بشكل مطلق، والذي استحق به أن يكون مجرماً ومستحقاً للاستئصال بالغرق، تماماً كما استؤصل غير الفراعنة بالريح، أو بالخسف، أو بحجارة من سجّيل، وهذا هو حال المترفين دائماً أن مصيرهم الاستئصال بما يختاره الله تعالى لهؤلاء من أنواع العذاب. وإذا كانت أمة الرسول محمد ﷺ قد استثنيت من هذا الاستئصال كرامة للرسول ﷺ وحضوره بين ظهرانيها قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣] فإنها حتماً لم تستثن من حاكميّة السنن التاريخية لها المنوطة بإرادة الإنسان واختياره، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد:١١).

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الفساد وإن كانت له تحقيقات كثيرة في المجتمع الإنساني، إلا أنه لم يعد مستحكماً بما يجعل منه ترفاً قاتلاً، أو استعلاءً واستكباراً يهدّد الإنسانية بالفاحشة الكبرى، والفساد الشامل، كما كان عليه حال الفرعونية، بل هو فساد محدود.

## المطلب الثاني
## أنـواع التـرف

اتخذ الشيطان الترف لنفسه وسيلة لإغواء الإنسان وإضلاله، ليكون من جنود إبليس فيما يصدر عنه من أفعال، وفيما ينطق به من أقوال، وهذا ما يدعونا لبيان أنواع الترف.

**أولاً: الترف المادي/ الدنيوي:**

إنّ القرآن الكريم فيما جاء به من أحكام وشرّعه للإنسان، إنّما يهدف إلى بناء

حياة إنسانية متوازنة، ولا يتحدث عن المادة والزينة بطريقة سلبيّة كما يحلو للبعض أن يقول، وإنما نراه يؤكّد على هذه الحياة وزينتها ونعمها على النحو الذي يدفع بالإنسان إلى أن يكون حاكماً لهذه الزينة، ومستفيداً منها في طريقه إلى الله تعالى. ولهذا، قال تعالى:﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الكهف: ٧)، إذ لم يقل أكثر عملاً وإنّما أحسن عملاً، أي: أتبع لأمري وأعمل بطاعتي(٣٨).

ومع ذلك نرى القرآن لم يتحدث عن الترف إلا بالذم في بضع آيات قصد الله تعالى بها المترفون، واضعاً إيّاهم في مصاف الكفر والجحود والطغيان، لكونهم اختاروا أن تكون النعم الإلهية التي مَنَّ الله تعالى بها عليهم سبيلاً للمعصية وطريقاً إلى الإضلال، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (يونس: ٨٨). فالزينة كما يبيّن القرآن ليست عائقاً في طريق الهداية، وإنّما جعلت للذين آمنوا في الحياة الدنيا، كما قال تعالى:﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢).

إنّها زينة ما كانت الدنيا لتستقرّ من دونها، وهي سبيل إلى القيام في طريق الحق، كونها نعمة منه تعالى ينتفع بها، ويشكر الله تعالى عليها، ويتبع شرعه فيها بالقصد واجتناب السرف والخيلاء، فما بال الفراعنة والمترفين يتخذون منها وسيلة للإضلال، ويقومون بها على أنها منتهى الآمال والأحلام؟ وأنها أكبر همه، يؤثرها على كل شيء، حتى إن أمر الدين لا يزحزحه عن شيء يقدر عليه من هذه الزينة ومتاعها بلا معارض من الدنيا، رغم أنّ أولياء الله تعالى لا يفوتهم أبداً أن يكون لهم من هذه الزينة التي أخرجها الله ما يجعلهم يقولون برضا الله تعالى(٣٩).

لقد تبيّن لنا أن الترف المادي الدنيوي، هو ليس مجرّد تعبير عن حالة مادية يعيشها الإنسان في هذه الحياة، وإنّما هو مشروع شيطاني هادف إلى إقصاء الأنبياء (عليهم السلام) والأولياء عن قيادة الأمة، تعصباً للمال والولد، وانخداعاً بزينة الحياة

الدنيا، وظناً من المترفين من أصحاب الثروة، أم من الأشراف المستكبرين أنّ الله رضي عنهم والدليل أنه أعطاهم هذا الملك.

ولا شكّ في أن المسوّغ لهذا الاعتبار، هو أنّ الترف ذو منشأ نفسي، وعنه تترشّح كل أنواع الفساد في المجتمع الإنساني، سواء في مجال العقيدة، أم في مجال العمل والتطبيق، وإذا كان هناك من ذهب إلى القول بأنّ الترف هو من توابع الثروة كابن خلدون، فيما اعتمده من منهج تاريخي، وفيما رآه في نظريته عن الاجتماع الإنساني والعمران البشري(٤٠).

فقد بيّنت الآيات القرآنية، أن الترف هو من توابع وترسّبات التعصّب لإبليس والشيطان، الذي حذّر القرآن من اتِّبَاعه، ودعا إلى اتخاذه عدوّاً حتى لا يُجلِب عليهم بخيله ورجله.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الزينة التي أتاه الله للفراعنة، وكل ما يمكن أن ينشأ عن الاستغراق فيها ليس الترف نتيجة لها، وإلاّ لماذا يربط بين تعصّب إبليس لأصله، وتعصّب مترفة الأمم لآثار مواقع النعيم، لو لم يكن لهذا الربط بعده النفسي لجهة ما يكون عليه المترف في نفسه من اتباع للهوى، وتقليد للشيطان، قبل أن يكون مقلّداً لآبائه، وقد عرفنا معنى أن يكون المترف مقلداً لآبائه فيما عرضنا له من تقابل بين موقع النبوّة وموقع المترفين، حيث قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٢). والحقّ يُقال: إنّ هؤلاء، كانوا متبعين ومقلدين لإبليس قبل أن يكونوا مقلدين لآبائهم، لأن منطقهم هو منطق إبليس، وفعلهم فعل إبليس، فلا معنى لأن نتحدّث عن الترف المادي في سياق ما نراه من زينة وتزيين، ونعَم اختبر الله تعالى بها عباده، ولعلّ ما ذهب إليه الشهرستاني هو خير معبّر وكاشف عمّا يعنيه الترف منذ النبي آدم عليه السلام وحتى عصر رسول الله، حيث رأى: «أنّ مَن جادل نوحاً، وهوداً، وصالحاً، وإبراهيم، ولوطاً، وشعيباً، وموسى وعيسى ومحمّداً صلوات الله عليهم أجمعين، كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته، وحاصلها يرجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم وجحد أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم، إذ لا فرق بين قولهم: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ (التغابن: ٦)، وبين قوله: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ (الإسراء: ٦١). وعن هذا صار مفصل الخلاف، وموضع الافتراق ما هو

في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾ (الإسراء: ٩٤)، فبيّن تعالى أن المانع من الإيمان هو هذا الهوى! [٤١].

**وخلاصة القول:** إنّ ما بيّنه القرآن وقدمه علماء الإسلام الأتقياء في معنى الترف، يخرج الزينة عن كونها سبباً وحيداً لتعصّب المترفين، ويكشف أن دعاء النبي موسى عليه السلام على فرعون أن يطمس أمواله، إنما يهدف إلى تعريف فرعون وغيره من الفراعنة أن الزينة إنّما تحوّلت عن كونها من حيث الخلقة عارية عن وجوه الاستفساد، وقد فسدت حينما تلبّس بها فرعون في نفسه، فكان المرض في قلبه، فزاده الله مرضاً، لأن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، فإذا كانت الزينة قد استقرت عند المترفين بما لجأوا إليه من وسائل وأساليب للاحتكار وجمع الثروات، فذلك لا يشكل دليلاً عن أن الترف هو من توابع الثروة، وإلا كيف لنا أن نفسّر حقيقة الترف عند التابعين، الذين بلغ بهم الترف حدّ أن يقبلوا الاستخفاف، وأن يستجيبوا لنداء فرعون ضحّى لمقابلة النبي موسى عليه السلام مع السحرة، بعد أن تمّ التوافق على أن يكون اللقاء يوم الزينة، وأن يُحشر الناس ضحىً، فهل كان هذا الترف متولداً في أنفسهم من ثروة فرعون وطغيانه، أم كان الترف نتيجة لاستجابة قلوبهم وميل أنفسهم له[٤٢].

وبذلك يتضح أن الترف هو ناشئ من المجتمع الذي اختار بإرادته أن يكون المترفون تعبيراً عن دينهم وكل شؤون حياتهم، وخير ما يعبّر عن هذا المشهد من الترف المادي، هو ما جاء في سورة (طه، والشعراء، والأعراف) إذ يظهر من منحى القصص القرآنية أن الترف والفساد كان ولا يزال مرهوناً بما يكون عليه الناس من أمراض قلبية ونفسية، بعد أن لم يستجب هؤلاء لما جاء به أصحاب الشرائع والتكاليف، كما بيّن الشهرستاني في الملل والنحل.

فالمشركون في صورتهم العامة، فراعين في عتوهم وضلالهم، تتحرك في كيانهم أجسام غريبة، من اليهود الذين جمعوا أموالاً كثيرة، بأساليب لا يحسنها غيرهم.. وبهذا تكتمل المشابهة بين مجتمع المشركين، ومجتمع فرعون.. فكلا المجتمعين يتشكل من عنصر أصيل، وعنصر دخيل عليه.. وفي **العنصر الأصيل** كبر وعناد واستعلاء، وفي **العنصر الدخيل** انحلال وفساد وعفن.. وكلا المجتمعين بعنصريه . الأصيل والدخيل . حرب على الحق والخير[٤٣] .

وهكذا، فإنّ معنى أن يكون المجتمع مترفاً مادياً، ومستغرقاً في المتاع والزينة والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة، معناه أن المجتمع لم يعقل عن الله تعالى بأنّ هدى الله هو الهدى، واختار بإرادته أن يكون له منطق ورأي واجتهاد إبليس فيما عبّر عنه من كفر وعصيان وجحود، وتأتي الزينة لتزيد الطين بلّة في تظهير هذا الترف كبرياءً واستكباراً وعلوّاً في الأرض، حيث قال تعالى:﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣)، وكما نلاحظ أن الآية تقدم فيها العلوّ على الفساد، بما يفيد بأنه كلما ازداد العلوّ في الأرض، كلما ازداد الفساد في المجتمع، لأنّ العلوّ والاستكبار هو حالة نفسية قبل أن يكون حالة واقعية، أو موضوعية، ما يعني أن الترف والمترفين في أجواء الطغيان المادي، هو أنهم خضعوا وعبّروا عن مرضهم القلبي، وفسادهم النفسي، الذي أعقبه تنكّراً وجحوداً بالمبدأ والمعاد، كما قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل: ٢٢). فالحكم القاطع هو أنه لا فلاح للكافرين أبدا ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ﴾ {القصص:٨٢} وإن كثرت أموالهم، وملكوا الدنيا في أيديهم، إنهم هم الخاسرون خسرانا مبينا، فى الدنيا والآخرة جميعا(٤٤).

**ثانياً: الترف السياسي.**

إن الترف السياسي لم يقتصر أمره وتعبيره على مَن أخذوا بشرع الله تعالى واحتكموا إليه، باعتبار أنه سبق للفراعنة والطواغيت، بل رفعوا شعار الدين والإسلام لتسويغ الترف بكل متعلقاته، أسوة بالفراعنة والمترفين في كل زمان، وكما بيّن الشهرستاني أن الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان، «كذلك يمكن أن نقرّر في زمان كل نبي ودور صاحب كل ملّة وشريعة: أن شبهات أمته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين وأكثرها من المنافقين، وإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة لتمادي الزمان، فلم يخف في هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي ﷺ، إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى، وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى»(٤٥).

وفي ذلك إشارة وتأكيد على أن الأمم والشعوب كانت ولا تزال تتداول الترف

وزينة الحياة بما لا يرضي الله تعالى، وقد أمرنا الله تعالى في كتابه العزيز أن نتدبّر حال الأمم السالفة لنتعرّف إلى ما كان عليه الناس، وما آلوا إليه في صيرورة تحولاتهم الدينية والإنسانية، حيث قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (يونس: ١٠٢).

ويكفي أن نؤكّد هنا على حقيقة أشار إليها الشهرستاني، وهي أن أهل النفاق ممن ادّعوا الإيمان وأظهروه، واستبطنوا الكفر وأسرّوه، كانوا هم أهم تعبير من تعابير الترف، وأبين دليل عليه، لكونهم أخذوا بأسباب الثروة، وآمنوا بترف الفراعنة بعد أن استفادوا منه غاية الاستفادة.

وهنا تجدر الإشارة إلى مفارقة مهمة جداً، وهي ما يعرضه القرآن من مشاهد عن الحوار بين النبي موسى عليه السلام وفرعون، وما تبع هذه الحوارات مع قوم النبي موسى عليه السلام بعد فرعون، حيث نجد أن الترف الفرعوني كان قليلاً إزاء ما بدر من قوم النبي موسى عليه السلام، باستثناء أولئك السحرة الذين آمنوا، وقالوا لفرعون: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (طه: ٧٢)، وهو كلام كاشف عن حقيقة الإيمان في مقابل أولئك المترفين، وهم الأكثرية، الذين قالوا: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الأعراف: ١١٣)، وهنا تتجلّى الحقيقة الفرعونية فيما نطق به هؤلاء، والمشهد ذاته نجده في حوار النبي ﷺ مع قومه الذين أترفوا وقالوا له: «اعدل يا محمد، فإنّك لم تعدِل» (٤٦).

## المبحث الثالث

## المترفون من الحكام والعلماء وصناعة الفساد

### المطلب الأول: الحكام وصناعة الفساد

هناك الكثير من الآيات القرآنية ترشد إلى مدلولات الصنع المختلفة، وبيان معانيها وهي كالتالي:

. غاية الإتقان في الخلق، من قبيل قوله تعالى:﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٨٨).

. كونه عملاً إنسانياً له دلالاته في القول والفعل، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى

يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ١٤). وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (فاطر: ٨). هذه جملة من الآيات المباركة التي تعرضت لمعنى الصنع ودلالاته، وقد أتينا على بعض هذه الآيات لكوننا سنعرض في سياق بحثنا لجملة الآيات القرآنية في موارد مختلفة، وحيث يقتضي أن تكون الدلالة ظاهرة المعنى فيما نريد التدليل عليه والإشارة إليه.

**أولاً: معنى الصناعة.**

معنى الصنع، كما أفاد أهل اللغة، يأتي بمعنى: الفعل والإتقان فيه، كما رأى الراغب في مفرداته، بأن كل صنع فعل، وليس كل فعل صنعاً[٤٧]. وجاء في لسان العرب معنى صنع، فيقال: صنعه يصنعه صنعاً ومصنوع،

والصناعة: حِرفة الصانع، وعمله الصنعة، ورجل صَنيع اليدين، وصِنع اليدين، أي صانع حاذق، وامرأة صُناعُ اليدِ حاذقة ماهرة بعمل اليدين[٤٨]. ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ {النمل:٨٨}. فالصناعة، ليست مجرّد فعل، وإنّما هي اختيار ووعي وحذاقة، وإتقان فيما يريد الإنسان القيام به من فعل، ولهذه المفردة دلالات مختلفة في القرآن الكريم، تدلّل على أن هناك أفعالاً ناشئة عن وعي واختيار وحذاقة، وأخرى ليس لها المؤدّى ذاته، وهذا ما نودّ التعرض له في مبحث صناعة الفساد عند المترفين.

**ثانياً: صناعة الفساد:**

إن صناعة الفساد في المجتمع الإنساني لا تلحظ في القرآن في سياق مجرّد عن وعي الإنسان وإدراكه، وإنّما هي تأخذ الواقع وتدلّل عليه من خلال رؤية موضوعية شاملة، وهذه الرؤية القرآنية الشاملة تقول إن منشأ الفساد في المجتمع الإنساني لم ولن يكون نتاج صدفة، أو تحوّل فجائي، بل هو ناشئ عن حذاقة فعل ووعي وإتقان يقوم بها المترفون لإحداث تحوّلات سياسية واجتماعية وثقافية ملائمة ومعبّرة عن مشروعهم الهادف إلى تحويل المجتمع عن وجهته فطرياً واجتماعياً.

**ثالثا: دور الحكام في صناعة الفساد:**

وهذا ما أرشد إليه القرآن في كثير من آياته، فهو حين يعرض لعمل السحرة

بقوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُواْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه: ٦٩). فصنع السحرة لم يكن مجرّد عن الوعي والإتقان، بل كان صنعاً واعياً وهادفاً إلى إضلال الناس، والتأثير على قلوبهم وعقولهم ليكونوا تحت تأثيرهم اجتماعياً وسياسياً، وقبل ذلك الهيمنة على أفكارهم ليكونوا بمنأى عن أي تحوّل من خارج الرؤية الفرعونية، فهم يُجيدون فنّ السحر، ولهم خبرة بفنونه وطرقه ووجوهه، لا من حيث هو مجرّد عمل أو مهنة، أو غير ذلك مما يأتي به الإنسان من أعمال في حياته، بل هو سحر قائم على فقه ووعي بضرورة أن يبقى الناس أسرى لهم[٤٩]، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤). إنّ الهدف واضح ولا بدّ من تسويغه في إطار من الوعي الاجتماعي وعن أي طريق، سواء عن طريق السحر، أم عن طريق آخر يمكن أن يختاره المترف لتسويغ أطروحته في الحياة، وهذا ما يمكن تلمّسه من تاريخ الفراعنة والمترفين، وما التجربة الإسلامية عنا ببعيدة، حيث الحكام والولاة يعتمدون الأساليب والوسائل ذاتها في إقناع الناس ليكونوا مندمجين في مشروع الترف ضدّ النبوة، وقد بيّن لنا ابن خلدون[٥٠] كيف أن الحكام قد تفنّنوا في وجوه الصنعة لتحويل الناس عن مشروع النبوّة، وبيان مدى ما وصل إليه الصنع الحاذق في السياسة والدين معاً لتسويغ نظرية هذا الحاكم أو ذاك، وخاصة في العصر الأموي، الذي أعطى للترف أبعاداً ووجوهاً لم يهتدِ إليها الفراعنة في تاريخهم»[٥١] !؟.

وربما هذا يحتاج إلى وقفة وهو الترف الذي عاشه الحكام في ذلك الوقت، رغم أن الحكام كانوا يغزون عاماً ويحجون عاماً، إلا أنهم تمرغوا في نعيم الدنيا ومفاتنها حيث القيان والمعازف، ثم على المستوى السياسي قام هؤلاء بتولية البلاد لأبنائهم بالوراثة دون وجه حق، وكان ذلك في الدولة الأموية والعباسية، وفي الأندلس، مع أن ما فعلوه يتنافى مع مبادئ المنهج الإسلامي في ترسيخ المفاهيم السياسية للحكم في اختيار الأكفأ والأتقى والأقوى.

"إن الحكم في دولة الإسلام يجب أن يقوم على أساس الشورى وهذا مبدأ تضمنه القرآن الكريم وطبقه الرسول طوال حياته وأوصى أصحابه به، فلا يجوز أن يكون الحكم استبدادياً لا انتخابات فيه أو ملكياً وراثياً، فالشريعة الإسلامية تتنافى مع

مبدأ وراثة الحكم، بل على الأمة أن تختار دائماً الأكثر كفاءة للسلطة العليا كل فترة وأخرى وعليه فإن النظام الملكي الوراثي والاستبدادي محرم وباطل وغير شرعي، وقد بين الرسول لأصحابه أن فساد نظام الحكم في الدولة الإسلامية يكون عندما يصبح ملكاً عضوضاً أي يعض على الأمة عضا ويفرض عليها فرضاً" (٥٢).

وقرر الأئمة الأربعة بعدم جواز توريث الحكم أو الخلافة وبطلان ذلك شرعاً لمخالفته القرآن والسنة النبوية كالنظام الملكي الوراثي(٥٣).

وأما ما حدث من تولية معاوية ﷺ الحكم لولده يزيد فهذا يخالف النظام الإسلامي للحكم، بغض النظر عن قصد معاوية، فكان الأولى أن يعهد الحكم لغير ولده من كبار الصحابة الموجودين في تلك الفترة، وكان فيهم كفاءات لو أسند إليهم الأمر، فقد كان الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر وغيرهم موجودين في هذا الوقت ولكن معاوية رضي الله عنه عدل عن هؤلاء وقصد لولده ليكون خليفة بعده، وبذلك حصل التغير الحقيقي في نظام الحكم الإسلامي(٥٤).

والقرآن الكريم وضح لنا ذلك لما اختار الله تعالى إبراهيم ﷺ إماماً وقدوة للناس﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ {البقرة:١٢٤} تمنى إبراهيم أن تكون هذه المكانة في ذريته من بعده ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فكان الرد الإلهي، أن الإمامة لمن يستحقها بالعمل والشعور، وبالصلاح والإيمان، وليست وراثة أصلاب وأنساب، إنما هي وشيجة الدين والعقيدة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، والإمامة لا تعطى للظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وظلموا أنفسهم بالبغي.

ولقد وضح الله ذلك بصيغة لا التواء فيها ولا غموض.. لا قيادة ولا إمامة لأولئك الظالمين بما ظلموا، وبما فسقوا، وبما انحرفوا عن عقيدة جدهم إبراهيم، لأنهم رموا شريعة الله وراء ظهوره، فالقائد الحقيقي لشعبه وأمته يكون خادماً لهم، لم يتخلى عنهم وقت الضيق والمصائب(٥٥).

القائد الحقيقي هو الذي يقوم ببناء وطنه، وبناء بيوت الله ليتقرب فيها العبد إلى ربه:﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ {البقرة:١٢٥}، ويؤمن شعبه فلا يسمح لأحد أن يروعهم في أوطانهم، بل

يأمنون على أرواحهم وأموالهم، فالبلاد ليست ملكاً لزعيم ولا قائد فيورثها أبناءه بالنسب، ولا يحق له أن يمنع أحداً من ممارسة العبادة في بيوت الله، بل الأصل في الزعيم الحقيقي أن يكون سادناً له بأمر من ربه، لإعداد جيل رباني، والقائد الحقيقي الذي يتمنى لشعبه الخير، ويدعو لهم بالرزق ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ {البقرة:١٢٦}. فقيادة الأمة والشعوب لا تقوم على قرابة الدم والجنس، ولكن على قرابة الإيمان والعقيدة، هكذا اعتقد إبراهيم ومَنْ بعده من الأبناء(٥٦).

فإن الأزمة القائمة اليوم في دولنا العربية والإسلامية كلها قائمة على اختيار القيادة التي فسدت، وتجمد الدم في عروقها طويلاً، بل علينا اختيار الأتقى، والأكفأ، والأصلح، فالمسألة بالتقوى والدين_لا بالشعارات الزائفة، لأننا نحن الذين نشارك في صناعة هذه القيادات الفاسدة، التي تقهر شعوبها جهاراً نهاراً، ولم تحكم بما أنزل الله.

إنّ صناعة الترف بما هي صناعة فساد يقوم بها الحكام في كل زمان ومكان وفقاً لرؤية وفقه تحقيري، وقد تبعهم فيها المنافقون الذين لم يدّخروا جهداً إلاّ بذلوه لاكتساب مغانم المترفين والفراعنة، باعتبارهم يشكّلون الامتداد الحقيقي لعقائدهم، مستخدمين كل وسائل الترف والنفاق للحفاظ على مصالحهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولقد جاء في القرآن بمفردة الصنع بصيغة المضارع في كثير من الآيات، فقال تعالى في أهل الكتاب، وفي النصارى تحديداً: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ١٤).

إنّه صراع حقيقي دائر بين الناس منذ أن هبط النبي آدم عليه السلام إلى الأرض، بين إنسان اختار أن يكون امتداداً لهُدى الله تعالى، وبين إنسان آخر اختار التحول عن ذات نفسه، وعن فطرته وشهادته ليكون تعبيراً عن الشيطان ومنطقه. ولولا أن الله سبحانه وتعالى قد نصر عبده فيما هيّأه له من ظروف ووسائل وقوة عقل ومنطق وصبر لما تمكن الحق وأهله من متابعة هذا الصراع الذي وعد الله تعالى بأن يكون النصر فيه حليف الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

لا شكّ في أن بحثنا هذا لا يبغي التأريخ لحكّام الفساد في التاريخ الإنساني، بل أردنا فقط أن نؤسّس لرؤية قرآنية واضحة تعزّز فرضية أن ما يقوم به الحكام

والولاة في كل زمان من خارج دائرة الوحي والنبوة، هو صناعة شيطانية ينبغي بل يجب الحذر منها والقيام بما يلزم لمواجهة مفاعيلها الاجتماعية والسياسية والدينية كما أمر الله تعالى، على اعتبار أن الإنسان مخلوق مختار ومكلّف بأن يقوم بالدور المناط به في دائرة وجوده.

ولقد أرجع الإسلام صناعة الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فضلاً عن الفساد الديني، إلى هؤلاء الحكام والولاة، حيث قال تعالى:﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: ١١٢)، وانظر إلى دقة الأداء القرآني في قوله:{ فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الجوع } ونعلم أن الذي يُذاق هو الطعم، والطعم يكون باللسان وحده: أما **(اللباس)** فيعم كل الجسم، والحق هنا يعطي الإذاقة ولا يكون الذائق هو الفم فقط بل كل الجسم، فالفم إنما يتناول لصالح بقية الجسم، وعندما لا تصل مادة الحياة إلى بقية الجسم فكل الجسم يذوق الجوع أيضاً[٥٧].

والكون المخلوق لله مصنوع على نظام دقيق من أجل أن تسير السنن الكونية في مجالاتها التي حددها الله، وعندما تنتظم هذه السنن في حركتها فهي تعطي النتائج للإنسان ولو بعد حين، حتى إن بعض المفسرين يقولون: إن الأمراض الوراثية التي تنتقل من أجيال سابقة إلى أجيال لاحقة كان السبب فيها تقصير الآباء واجترائهم على أشياء مخالفة لمنهج السماء، فإذا شرع الله سنة كونية للفرد ثم خالفها تصيبه نتيجتها السيئة من بعد ذلك، وكذلك الأمة والجماعة[٥٨].

ولكنهم لم يلتفتوا إلى معنى وحقيقة **(الصنع)** في الآية، واكتفوا بمجرّد الإشارة إلى قدرة الله تعالى وإنعامه على الإنسان فيما يحتاج إليه لتأمين استقراره، ومعيشته، مع الإشارة إلى سبب نزول هذه الآية التي نرى أنها تحملُ مدلولات عظيمة جداً يمكن لمن يعمل في حقل الاقتصاد، أو علم الاجتماع السياسي، أن يُظهر مكوّنات هذه الآية المباركة من خلال إعطاء فعل الصنع معناه الحقيقي، فيخرج به عن كونه مجرّد فعل، ليعطيه بُعده في دائرة الوعي القيادي للمجتمع، باعتباره هو المسئول عن صناعة الفساد، والقائم بها، وهذا الوعي غالباً ما يكون متمثلاً بنخبة سياسية واقتصادية حاذقة تؤدّي بالمجتمع نتيجة فسادها إلى أن يذوق لباس الجوع والخوف

بما صنعوا.

إنّ الآية ترشد إلى أن صناعة الترف هي التي تؤدّي بهذه القرية إلى الهلاك، لأنّ القيّم على كل اجتماع سياسي، وخصوصاً في العصر الحديث، يدرك جيداً معنى أن يكفر مجتمع من المجتمعات بنعم الله تعالى، وهذا الإدراك يتأتى له من خلال المظالم التي تلحق بهذا المجتمع من قبل القيّمين عليه سياسياً واقتصادياً، فإذا لم يلحظ هؤلاء بحكم قيمومتهم مسألة العدالة في التوزيع، ويقوموا بوضع سياسات اقتصادية واجتماعية لإدارة الثروة، وتأمين ما يلزم لتحقيق الاستقرار، فإنّ هذا المجتمع لا يلبث أن يقع في أزمات كبيرة قد تؤدّي بالناس إلى الكفر والثورة والعصيان، وقد بيّن علماء الاجتماع السياسي أن الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تشكّل الإطار الطبيعي لفهم حقيقة سياسات المترفين، وغالباً ما يتمّ التعبير عن هذه الظروف باللغة السياسية لفرض واقع جديد وتهدئة الخواطر، وخلق المناخ الملائم تحاشياً للثورة، ما يؤكّد لنا أن الآية المباركة هي في الجوهر فيما تؤكّد عليه من صناعة تؤشّر إلى أن سوء الإدارة من قبل المسئولين عن الواقع، بما هم خبراء وأهل اختصاص ولديهم الوعي بما يقومون به، هو الذي يتسبّب بالأزمات الاقتصادية، وهذا ما أطلق عليه القرآن مصطلح الكفر بالنعمة بما يعني من عدم قيام بحق هذه النعمة، وهو إنّما أطلق الكفر بالنعمة على مَن لم يحسن إدارة الأزمات في المجتمع، وأذاق الناس لباس الجوع والخوف. وكلنا يعلم أن المجتمع وأكثرية الناس ليسوا على وعي اقتصادي أو سياسي، حتى يكونوا مشمولين في هذه الصناعة.

إنّ فقه الآية، بما تحويه من تأكيد على صناعة الفعل، يرشدنا إلى تلك الفئة المترفة التي تقوم بإدارة شؤون المجتمع، وتسيء إلى ثروته، سواء من حيث الإنتاج، أم من حيث التوزيع.

هذا ملخص لما وفّقنا له من تحليل واستنطاق للآية المباركة، والتي هي عنوان اقتصادي وسياسي واجتماعي يمكن للفقهاء وأهل الخبرة أن يؤسّسوا عليها لإنتاج نظرية في مجال الرؤية الاقتصادية وتشكلات المجتمع السياسي، ولعلّنا لا نخطئ القول بأن أكثرية المفسرين لم يتعرضوا إلى كثير من تفاصيلها، ومرّوا عليها دون أن يلتفتوا إلى تضميناتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن خلال هذا

الفهم يمكن لنا أن نطلق الأحكام بشأن ما تتعرض له المجتمعات الإنسانية من مظالم، فنقول: إن صناعة الترف، قديماً وحديثاً، هي المسئولة عن عدم استقرار المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، هي التي تؤسس للمظالم، وتدفع بالناس إلى أن يكونوا أسرى الأغنياء بسبب الحاجة إلى المال والثروة لإدامة حياتهم، وهذا يؤدّي بهم إلى أن يتحولوا وفاقاً لمنظومة الترف الهادفة أساساً إلى استثمار هؤلاء في المشاريع السياسية والاقتصادية، ليكونوا أمة الاستخفاف، وشعب الاستبداد..!؟

إنّ صناعة الترف، كانت ولا تزال تسعى إلى رسم حدود فاصلة بين المال والثروة والدعوة النبوية للحيلولة دون أن يكون لمنهج النبي ﷺ أو للصالحين من عباد الله تعالى، أي دور في الاستفادة من المال والثروة في تعزيز استقرار المجتمع من خلال تأمين الحاجيات التي تسمح للناس الصالحين من متابعة دورهم وتحمّل مسؤولياتهم وفاقاً لرؤية أخلاقية تمنع من الاستبداد والاستئثار والاحتكار، ولعل قوله تعالى في سورة المنافقون يرشد إلى ما يبتغيه المترفون من سطوة المال والثروة حيث قال: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

## المطلب الثاني
## العلماء وصناعة الفساد

وفي هذا المطلب سنحاول قدر المستطاع أن نطلّ على حقيقة صنع الفساد في المجال الديني.

**أولا: الأحبار والربانيون من بني إسرائيل.**

حيث نرى أن القرآن ينسب صناعة الفساد إلى أهل الكتاب الذين نسوا حظّاً بما ذكّروا به، وقد توعّدهم الله تعالى بأنه سوف ينبئهم بما كانوا يصنعون، ولعل أكثر ما يتجلّى هذا الصنع فيما ذكره القرآن عن العلماء والرهبان والأحبار، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ٦٣).

هذه الآية التي توضح أن العلماء ليسوا بمنأى عمّا يتعرض له المجتمع الإنساني من مفاسد بسبب ما يؤدّيه هؤلاء من دور ووظيفة واعية وهادفة لصرف

الناس عن حقائق الأمور، وإخضاعهم لمنطق الواقع وما ينطوي عليه من مخالفة لأوامر الله تعالى، في حين أن ما أنيط بهم من مهام، وخصّوا به من احترام وتقدير، إنما كان لهم بما يمثّلونه من امتداد للنبوّة، ولكنهم انسلخوا عن دورهم المنوط بهم، لأنّهم تولّوا الظلمة، وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وخرجوا عن مبادئ الحق، واختاروا أن يكونوا صنّاعاً للباطل بما يعظون به الناس ويرشدونهم إليه كما يفعل المترفون! ما في القرآن آية أشد توبيخ منها [٥٩].

ولقد صور الشيخ محمد رشيد رضا فقال:" وهؤلاء غارقون في الإثم والعدوان، وارتكاب المعاصي المفسدة لأخلاقهم، وللأمة التي يعيشون فيها، هذا بالإضافة إلى أنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يكن يقوم به أحد منهم، لا العلماء ولا العباد، إذ كان الفساد قد عم الجميع، وبهذا يتضح أن هذه الآية هي حجة على العلماء إذا قصروا في الهداية والإرشاد، وتركوا النهي عن البغي والفساد"[٦٠]، فهؤلاء هم رأس كل خطيئة، ومَن يدخل في الدنيا لا يؤمن منه أن يُدخل الناس في الخطيئة، ويدفع بهم إلى الترف في الحياة، فكيف إذا كان العالم، أو الفقيه هو الذي يخوض غمار الدنيا وهو واعٍ لحقيقة ما يصنع.

**ثانياً: بلعام بن باعوراء:**

فمعصية العوام من قبيل ما يحصل بالطبع، لأنهم يندفعون مع الشهوة بلا بصيرة، هذا متوقع، أما معصية العلماء وتركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبيل الصناعة المتكلفة، وهم يعلمون ما أخذ الله عليهم من الميثاق، فهذا ما لا يمكن تصوره، قال تعالى" ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ﴾ (الأعراف:١٧٥). هذا هو حال هؤلاء المارقين الناكصين على أعقابهم الذين انقلبوا خاسرين وارتدوا على أدبارهم، إنها صفات الذين تمرغوا في أوحال المادة تراهم دائما في تعب، إن أعطوا طمعوا في المزيد، لأن قلوبهم لا تعرف الرضا، وإذا منعوا إذا هم يسخطون، لا يملأ عيونهم إلا التراب. لقد نزلت هذه الآيات في بلعام بن باعوراء من قوم موسى، وكان مستجاب الدعوة يقدمه بنو إسرائيل في الشدائد، بعثه موسى إلى ملك مدين يدعوه إلى الله، فأقطعه وأعطاه، فتبع دينه وترك دين موسى عليه السلام [٦١]. إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من

علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكنه ينسلخ من هذا كله انسلاخاً، وإذا بهذا الإنسان العالم لاصقاً بالأرض ملوثاً بالطين، فإذا هو مسخ في هيئة كلب لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ {الأعراف:١٧٦}، إنه يمثل حال الذين أترفوا في هذه الحياة الدنيا وكذبوا بآيات الله بعد أن تبين لهم الهدى ثم لم يستقيموا عليها، وما أكثر ما يتكرر هذا المثل في حياة البشر، وما أكثر الذين يُعطوا علم دين الله ثم لا يهتدون(٦٢).

ويا ليت الأمر وقف عند هذا المثال فقط وإذا بالقرآن يأبى إلا ان يذكر لنا حيواناً آخر لهؤلاء القوم من بني إسرائيل فقال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {الجمعة:٥}، فبنو إسرائيل حملوا أمانة التوراة وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة ثم لم يحملوها، وحملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه وتنتهي بالعمل، ولكن سيرة بني إسرائيل لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة ولا عملوا بها، ومن ثم كانوا كالحمار تماماً، فإلى كل الذين حملوا أمانة العقيدة ثم لم يحملوها، إلى المسلمين الذين تسموا بأسماء المسلمين ولم يعملوا بالإسلام، إلى هؤلاء الذين يقرؤون القرآن والسنة ولم يطبقوها، إياكم ثم إياكم أن تكونوا من الذين ينطبق عليهم هذا المثال السيء، فالمسألة ليست مسألة كتب تحمل أو تدرس، بل مسألة فقه وعمل وقدوة(٦٣).

والناظر اليوم إلى واقع المسلمين يجد أن هناك من العلماء مَنْ يبحثون عن الذهب والفضة ويصدون عن سبيل الله تعالى، ويفتون بما يناسب الدنيا وأهل الأهواء، تقليداً واعياً، وحتى لا يفتن الناس بهم فقد حذرنا النبي ﷺ من هؤلاء فقال: "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه"(٦٤).

إنه تاريخ إسلامي تعاضد فيه أهل صناعة الترف، مع أهل صناعة العلم

الذين تسمّوا بالعلم وليسوا به، فكان مما لا يمكن لأمّة أن تحتمله من أزمات على مستوى الاعتقاد والسلوك وذلك كلّه إنّما كان سببه (الولاة والحكام والعلماء والأحبار)، الذين وقفوا بالمرصاد للربّانيّين في كل زمان ومكان للحيلولة دون أن يكون لهم أي دور في صناعة التاريخ، ورغم ذلك كله، فإنّ القلّة القليلة من هؤلاء العلماء استطاعت أن تحدّ من صناعة الفساد، وأن تحمي الإسلام من سوء التحريف والتأويل، وأن تمنع من أن يحكم الطغاة باسم الشريعة والدين، بل كان لهم الدور الحاسم في هداية الناس الصالحين والمستضعفين إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه من فعل إسلامي يرتكز إلى هُدى الله تعالى الذي هو الهدى، هذا فضلاً عمّا كان للعلماء والأتقياء من دور في إيصال الإسلام إلى محطات لامعة ومضيئة سمحت للكثيرين في كل زمان أن يتنفّسوا الصعداء، وأن يخرجوا من كهوف الجاهلية والحزبية إلى رحاب الإسلام.

**أهم نتائج البحث:**

١) المترفين هم أصحاب نفوذ ومشاريع سلطوية وكانوا دائماً في طليعة المعارضين للمشروع الإلهي التي تحمله النبوّة.

٢) المترفون هم آفة المجتمع في كل أمة، وفى كل جيل، فيهم ينشأ الفسق والمجون، وكل ما من شأنه أن يغذى العواطف والغرائز البهيمية، على حساب المطالب الروحية والعقلية.

٣) المترفون هم سبب كل جهل وفساد في المجتمع الإنساني، وهم في طليعة من يواجه المشروع الإلهي من خلال استثمار المال في مشروع الصدّ عن سبيل الله وتعاليمه.

٤) أجمع أهل العلم والمعرفة على أن المترف هو سبب كل أزمة مالية، أو اقتصادية، أو اجتماعية في أي مجتمع إنساني.

٥) المترفون هم قادة الشرّ ورؤساء القوم هم المترفون الذين يستعبدون الناس ويستخفون بهم ليكونوا عبيداً لهم.

٦) المترفون هم أهل صناعة الفساد في المجتمع الإنساني، هذا فضلاً عن كونهم الجهة المقابلة دائماً لمشروع الحق والعدالة.

٧) عقيدة المترفين ليست وليدة الساعة، وإنّما هي قديمة قدم وجود الإنسان، وهي عقيدة قائمة على التعصب والتفاخر بالمال والولد والتقليد للآباء في اعتقادهم وسلوكهم.

٨) إنّ عقيدة المترفين ومنطقهم تقوم على الكفر والتكذيب بلقاء الله تعالى.

٩) إن هدف الرسل والأنبياء إخراج المترفين من الكفر والعصيان إلى رحاب الإسلام، ولم يكن هدفهم إزالة الثروات من أيديهم.

١٠) منطق المترفين في مواجهة دعوة الأنبياء عليهم السلام، قائمة على المعاندة والكفر والاستكبار في الأرض بغير حق، ويهدف إلى طلب السلطة والاستئثار بالمال والنفوذ.

١١) إنّ كل مترف مفسد، وليس كل مفسد مترفاً، فقد يكون المفسد عاصياً، وفاسقاً، ومنافقاً، رغم ما يزعمونه من صلاح وإصلاح.

١٢) المترف يقف على قمة الفساد والإفساد في الأرض، أما المفسد، بما هو إنسان خارج عن حدّ الاستقامة، سواء في نفسه، أم في الواقع.

١٣) إن منشأ الفساد في المجتمع لم يكن صدفة، بل هو ناشئ عن حذاقة فعل ووعي وإتقان يقوم بها المترفون لإحداث تحوّلات سياسية واجتماعية وثقافية ملائمة ومعبّرة عن مشروعهم.

١٤) الإمامة لا تعطى للظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وظلموا أنفسهم بالبغي.

١٥) إن الأزمة القائمة اليوم في دولنا العربية والإسلامية كلها قائمة على اختيار القيادة التي فسدت، وتجمد الدم في عروقها طويلاً، بل علينا اختيار الأتقى، والأكفأ.

١٦) إن صناعة الترف، قديماً وحديثاً، هي المسئولة عن عدم استقرار المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، هي التي تؤسس للمظالم، وتدفع بالناس إلى أن يكونوا أسرى الأغنياء بسبب الحاجة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**هوامش البحث:**

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، مصر، ج١، ص٤٢٩.

(٢) الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الفكر، بيروت، ص٧٠.

(٣) الزمخشري. أبو القاسم محمود بن عمر. ج٤، ص٢٤٩.
(٤) السمرقندي. أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم. ج٣، ص٦٨.
(٥) ينظر: الخطيب. عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن. ج١١، ص٨٢٨ .٨٢٩.
(٦) ينظر: الخطيب: عبد الكريم. التفسير القرآني للقرآن. ج٨. ص٨٤٠.
(٧) ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ص١٦٧ ١٧٠.
(٨) ينظر: السعدي: عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.ج١. ص٣٩١.
(٩) ينظر: رضا: محمد رشيد. تفسير المنار. ج٢. ص١٥٧.
(١٠) الزحيلي : وهبة مصطفى. التفسير الوسيط للزحيلي. ج٢. ص١٠٨٣. (بتصرف).
(١١) ينظر: السعدي: عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ج١. ص٢٩٥.
(١٢) ينظر: الخطيب: عبد الكريم. التفسير القرآني للقرآن. ج١١. ص٨٢٨ . ٨٣٠.
(١٣) ينظر: السعدي: عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ج١. ص٦٠١.
(١٤) الخطيب: عبد الكريم. التفسير القرآني للقرآن. ج٩. ص١١٣٤ (بتصرف).
(١٥) الزحيلي: وهبة مصطفى. التفسير الوسيط. ج٢. ص١٦٨٨.
(١٦) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.ج١. ص٧٦٤.
(١٧) ينظر: السلمان: عبد العزيز بن محمد. الأنوار الساطعات لآيات جامعات. ج٣. ص٢٢٩.
(١٨) ينظر: عبد السلام هارون، سيرة ابن هشام، ص٢٥٣.
(١٩) الطبري: محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. ج٢٠. ص١٤.
(٢٠) ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. ج١. ص٤٧٧.
(٢١) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.ج١. ص٧٩.
(٢٢) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج٢٠. ص١٥.
(٢٣) الإبياري. إبراهيم. الموسوعة القرآنية. ج١. ص٤٧٧٣.
(٢٤) الأصفهاني: الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٧٠.
(٢٥) الأصفهاني: الراغب. معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ص٣٩٣.
(٢٦) الزمخشري، تفسير الكشاف، م. س، ج١، ص٧٠.
(٢٧) الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن، ص٣٥٧.
(٢٨) قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني لا تعملوا المعاصي ونحوه..
(٢٩) الفساد الهلاك، كما في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ يعني لتهلكن في الأرض مرتين.
(٣٠) الفساد القحط، كما في قوله تعالى:﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يعني قحط المطر وقلة النبات.
(٣١) الفساد القتل، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني ليقتلوا.

(٣٢) الفساد الخراب بالظلم، كما في قوله تعالى:﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ يعني يخربونها بالظلم.
(٣٣) الفساد يمعنى السحر، كما في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يعني السحرة.
(٣٤) انظر: الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن، ص٣٥٨.
(٣٥) عبد الباقي محمد فؤاد. المعجم المفهرس. ص٥١٨ . ٥١٩.
(٣٦) عبد الباقي. محمد فؤاد. المعجم المفهرس. ص١٥٣.
(٣٧) ينظر: البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود.معالم التنزيل. ج٦. ص١٨٥.
(٣٨) ينظر: الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. ج١٧. ص٥٩٩.
(٣٩) ينظر: رضا. محمد رشيد. تفسير المنار. ج٢. ص٢١٦.
(٤٠) ابن خلدون، المقدمة، م. س، ص١٧٢ – ١٧٣.
(٤١) ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل. ج١. ص١٩.
(٤٢) ينظر: أيوب. سعيد. معالم الفتن. ج١. ص٦٤.
(٤٣) ينظر: الخطيب. د. عبد الكريم. التفسير القرآني للقرآن. ج١٠. ص٣٨١.
(٤٤) ينظر: الخطيب. د. عبد الكريم. التفسير القرآني للقرآن. ج١٠. ص٣٩١.
(٤٥) ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. الملل والنحل. ج١، ص١٨.
(٤٦) الشهرستاني. محمد بن عبد الكريم. الملل والنحل. ج١، ص٢٦.
(٤٧) الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، م. س، ص٤٩٣.
(٤٨) ابن منظور، لسان العرب، م. س، ج٤، ص٢٥٠٨.
(٤٩) ينظر: ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. ج٥. ص٣٠٢.
(٥٠) ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. ص١٧٤. إن الترف يذهب بخصال الخير، ص١٦٩.
(٥١) ابن خلدون. في مقدمته. ص: ١٧٣.
(٥٢) مصطفى الزرقا، نظام الحكم في الإسلام، ص: ٤٤.
(٥٣) ينظر: علي بن نايف الشحود ، المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين، ١/ ٤٢٩.
(٥٤) ينظر: علي محمد الصَّلاَّبيَّ، الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٢/ ١٦٩.
(٥٥) قطب. سيد. في ظلال القرآن. ج١. ص٨٦.(بتصرف).
(٥٦) ينظر: قطب. سيد. في ظلال القرآن. ج١. ص٨٧ (بتصرف).
(٥٧) الشعراوي. ج١. ص١٦١٨.
(٥٨) الشعراوي. ج١. ص١٦١٩.
(٥٩) ينظر: الحمراني. إعداد وربط: عبد الله. الدر المنثور. ج٥. ص٣٧٤.
(٦٠) ينظر: رضا. محمد رشيد. تفسير المنار. ج٦. ص٣٧٣.
(٦١) ينظر: الزحيلي. د وهبة بن مصطفى. التفسير الوسيط. ج١. ص٧٥١.
(٦٢) ينظر: قطب. سيد. في ظلال القرآن. ج٣. ص٣٢٠.
(٦٣) ينظر: قطب. سيد. في ظلال القرآن. ج٧. ص٢٠٥.
(٦٤) البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر. بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا}.ح(٧٥٣٢). ج٩. ص١٥٥.

## المراجع والمصادر:


١. ابن خلدون: عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٢. ابن عاشور: التحرير والتنوير. دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.
٣. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. المحقق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. ط٢. ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٤. ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب. دار صادر – بيروت. ط١.
٥. الإبياري: إبراهيم. الموسوعة القرآنية. مؤسسة سجل العرب. ١٤٠٥ هـ.
٦. الأصفهاني: الراغب. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. معجم مفردات ألفاظ القرآن. دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت. ط٢. ١٤١٨ هـ. ١٩٩٧م.
٧. البخاري: محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. بَاب قَوْلِ تَعَالَى:{قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا}. ح (٧٥٣٢).
٨. البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود. معالم التنزيل. المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وغيره. دار طيبة للنشر. ط١. ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٩. البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. دار الكتب العربية. ١٣٣٠ هـ.
١٠. الحمراني: إعداد وربط: عبد الله. الدر المنثور.
١١. الخطيب: عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن. دار الفكر العربي– القاهرة.
١٢. الدامغاني: الحسين بن محمد، قاموس القرآن (إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)، المحقق: عبد العزيز سيد الأهل. دار العلم للملايين. ١٩٨٣ م.
١٣. الزحيلي: وهبة مصطفى. التفسير الوسيط. دار الفكر – دمشق. ط١. ١٤٢٢ هـ.
١٤. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر. الكشاف. مطبعة مصطفى محمد. ١٣٠٨ هـ،
١٥. السعدي: عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة. ط١. ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
١٦. السلمان: عبد العزيز بن محمد. الأنوار الساطعات لآيات جامعات. (بدون).
١٨. السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم. تحقيق: د.محمود مطرجي. بحر العلوم. دار الفكر – بيروت.
١٩. الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل. المحقق: أحمد فهمي محمد. دار الكتب العلمية. ١٤١٣ – ١٩٩٢م.
٢٠. الطبري: محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. المحقق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. ط١. ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٢١. أيوب: سعيد. معالم الفتن.
٢٢. رضا: محمد رشيد. تفسير المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب.١٩٩٠ م.
٢٣. عبد الباقي: محمد فؤاد. المعجم المفهرس. دار للتراث العربي. بيروت. لبنان.
٢٤. عبد السلام هارون: سيرة ابن هشام. مؤسسة الرسالة، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.
٢٥. علي بن نايف الشحود: المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين.
٢٦ـ علي الصلابي: الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار.